

## المخاضة الخامسة

- إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ،  
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ،  
ومن يضلل فلا هادي له ،  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله  
أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي نبينا محمد ،  
وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار  
ثم أما بعد ، ،

- لازل حديثنا موصولاً في باب **الإنبساط إلى الناس** في صحيح الأدب المفرد :

٢٤٨/١٨٦ - عن معاوية قال : سمعت من النبي ﷺ كلاماً نفني الله  
به ؛ سمعته يقول - أو قال - : سمعت رسول الله ﷺ يقول :  
« إنك إذا اتبعت الريبة في الناس أفسدتهم » . (٢)  
صحيح

## ✿ الشرح :

- هذا الحديث يحمل فوائد كثيرة ، منها :

- ضبط الرواة : فقول معاوية رضي الله عنه " سمعت من النبي كلامًا نفعي الله به ، سمعته يقول : " أو : " سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول .. "

- فما هو الفرق بين اللفظين !!؟

- ليس هناك فرق مؤثر ! وإنما هو من ضبط وحرص الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - على نقل كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - بدقة .
- وهذا أيضًا يرد على الذين يطعنون في عدالة الرواة وصحابة النبي - صلى الله عليه وسلم .
- إنما أراد معاوية حين قال " سمعت من النبي كلامًا نفعي الله به ، سمعته يقول : .. " أن يبين أنه سمع النبي يقول ذلك مع جماعة من الناس .
- واللفظ الآخر دلّ على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كلمه هو ووجه إليه الخطاب ، مع أن القضية سواء ، سمعه مباشرة وكان كلامه موجّهًا إليه هو ، أو سمعه في جمع من الناس ، المهم أنه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم .

- نفعي الله به : أي في أيام خلافته .

- وكان النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يوجه إليه رسالة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم بما أطلعه الله عليه ، من أن معاوية سيكون خليفة يومًا ما ، فنفعه الله بهذا الكلام أيام خلافته رضي الله عنه ، حيث عمل به .

- الريبة : هي الشك مع التهمة .

- قال تعالى " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا " يعني لم يشكوا في إيمانهم بالله ورسوله .
- والشك منافي لليقين ، واليقين من شروط لا إله إلا الله ، فمن شك في شيء من فروع هذه الشريعة فكأنما نقض شرطًا من شروط لا إله إلا الله .

- والمعنى : أنك إذا اتهمت الناس وجاهرتهم بسوء الظن فيهم ، آذاهم ذلك إلى ارتكاب ما ظنَّ فيهم ، ففسدوا .
- وعدم اتباع الريبة في الناس : هو الانبساط إليهم .

### - ومن فوائد هذا الحديث أيضًا :

- النهي عن التجسس ، واتباع العورات ، ورمي التهم بهم ، والحث على العفو عنهم ، كما قال تعالى " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ " .
- والتجسس : هو البحث عما يُكتم عنك ، بخلاف التحسس : وهو معرفة الأخبار .
- ولذلك قالوا : أن التجسس أن يطلب الخبر لغيره ، والتحسس أن يطلب الخبر لنفسه .
- قال بن كثير : التجسس غالبًا يُطلق في الشر ، ومنه الجاسوس ، وأما التحسس فيكون غالبًا في الخير .
- كما أخبر سبحانه عن يعقوب عليه السلام " يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ " .
- وقد قال تعالى " وَلَا تَجَسَّسُوا " ، قال الطبري في تفسيره لهذه الآية : أي : لا يتتبع أحدكم عورة أخيه ، ولا يبحث عن سرائره ، يريدُ بذلك الظهور على عيوبه .
- وقد يُستعمل كل منهما في الشر ، لقوله صلى الله عليه وسلم " لا تجسسوا ولا تحسسوا " .
- وقضية التجسس فيها من حسن الظن بالنفس ، وإساءة الظن بالآخرين ، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي صححه الشيخ الألباني " يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ، وينسى الجذع في عينيه " .
- ولذلك قال أحد السلف : " رأيت أقوامًا لهم عيوبًا فسكتوا عن ذكر عيوب الناس ، فستر الله عيوبهم ، ورأيت أقوامًا ليس لهم عيوبًا ، فذكروا عيوب الناس فصارت لهم عيوبًا " .
- فالجزاء من جنس العمل !
- لذا ينبغي للإنسان أن يُسيئ الظن بنفسه ويحسن الظن بغيره ، وهذه مرتبة لا يصل إليها إلا الصالحون ؛ لأن الصالح يخاف على دينه ونفسه .
- وقد قيل للربيع بن خثيم : " ما نراك تغتاب أحدًا !! فتعجب الربيع من هذا السؤال وقال : لست عن حالي راضي ، حتى أتفرغ لذكر عيوب الناس ! ، ثم بكى وقال : لِنَفْسِي أَنْبِي لَسْتُ أَنْبِي لِغَيْرِهَا لِتَفْسِي فِي نَفْسِي عَنِ النَّاسِ شَاغِلٌ " .

- وقد ثبت أيضًا عن زَيْدِ يَعْنِي ابْنَ وَهْبٍ ، قَالَ : أُتِيَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، فَقِيلَ لَهُ : " هَذَا فُلَانٌ تَقَطَّرَ لِحْيَتُهُ حَمْرًا . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : إِنَّا قَدْ نُهَيْتَنَا عَنِ التَّجَسُّسِ ، وَلَكِنْ إِنْ يَظْهَرُ لَنَا شَيْءٌ نَأْخُذُ بِهِ " .
- وفي الحديث : الابتعاد عما يفتن الناس ويصدِّهم عن دين الله تعالى .

أ.هـ

.....

## ١٠٩ - باب التَّبَسُّم - ١٢٥

١٨٧/ (١/٢٥٠) - عن جرير قال : ما رأني رسول الله ﷺ منذ أسلمت  
إلا تبسم في وجهي .  
صحيح - (الصحيحة) ، (٣١٩٣)

## ❁ الشرح :

- **التبسم** : هو انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان ؛ من السرور .
- فإن كان بصوت فهو الضحك ، وإن كان بغير صوت فهو التبسم .
- وقد دللنا النبي صلى الله عليه وسلم على هدي نبويّ فقال " تبسّمك في وجه أخيك لك صدقة " .
- وهذا الحديث يبين حسن خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم وتواضعه ، وانبساطه إلى الناس ، وإنزاله الناس منازلهم .
- وقد قال تعالى " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ " .
- ولكم فعلت هذه الابتسامة الأفاعيل في نفوس وقلوب كثير من الخلق !

أ.هـ

.....

١٨٨/٢٥٠ (٢/٢٥٠) - وقال رسول الله ﷺ :  
 « يدخل من هذا الباب رجل من خير ذي يمين ، على وجهه مسحة  
 ملك » فدخل جرير .

### ❁ الشرح :

- **عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةٌ مَلِكٍ** : يقال على وجهه مسحة ملك ، ومسحة جمال : أي أثر ظاهر منه ، ولا يقال ذلك إلا في معرض المدح وليس في معرض الذم .
- قال الحافظ بن حجر : عن جرير قال : لَمَّا دَتَوْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ أَنْخْتُ رَاجِلِي ، ثُمَّ حَلَلْتُ عَيْنِي ، ثُمَّ لَبَسْتُ حُلِّي ، ثُمَّ دَخَلْتُ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْطَبُ ، فَرَمَانِي النَّاسُ بِالْحَدَقِ ، فَقُلْتُ لِجَلِيسِي : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، ذَكَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، ذَكَرَكَ أَنْفًا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُخْطَبُ إِذْ عَرَّضَ لَهُ فِي خُطْبَتِهِ ، وَقَالَ : " يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ ، أَوْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ ، مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنِ ، إِلَّا أَنْ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةٌ مَلِكٍ " .
- وفي هذا منقبة عظيمة لجرير ، أن يمدحه النبي صلى الله عليه وسلم .

أهـ

هذا والحمد لله رب العالمين ،،